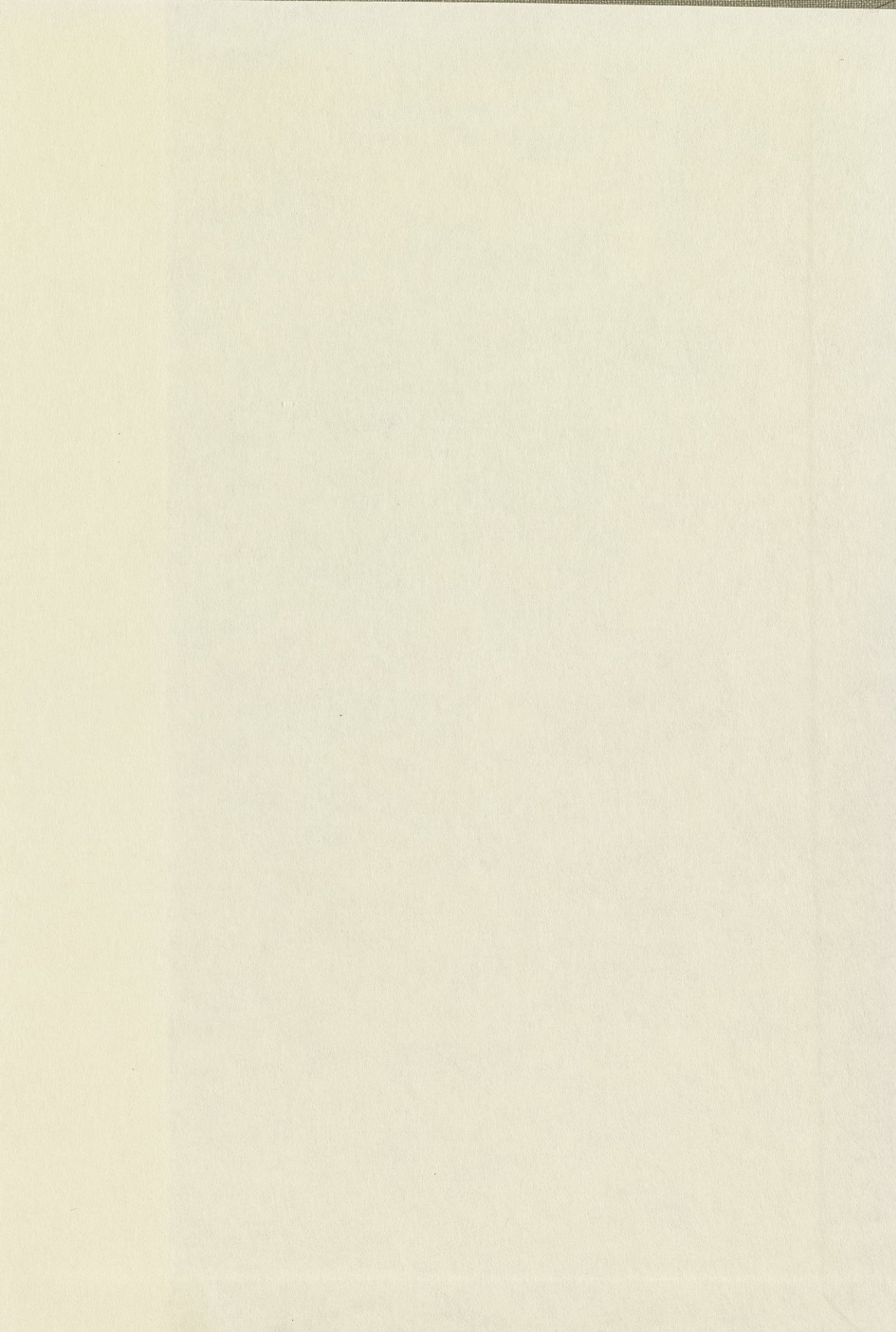




Princeton University Library



32101 059172005

Princeton University Library

This book is due on the latest date
stamped below. Please return or re-
new by this date.

التَّضَامِي

الدُّرُودِي

فَ
عَالَمِ
الْيَوْمِ

النضال من الإسلام
في عالم اليوم

(RECAP)

BP170

.82

.T322

1950₂

كتاب النور والهدى

مؤلفه



المحتوى

صفحة

الفصل الاول واقع العالم الاسلامى

١١		واقع الضعف والانقسام	*
١١		تجاوزنا مرحلة التدهور ، وبدأنا طريق الصعود	*
١٢		انتصرنا في معارك الاستقلال الوطنى	*
١٣		اهداف المرحلة الحالية	*
١٤		لا شك في مقدرة شعوبنا	*
١٥		اسباب العجز الحالى	*

الفصل الثانى دور المسلمين في عالم التكتلات

١٩		عالم الوحدة	*
١٩		مرحلة التكتلات الدولية	*
٢٠		سلسلة التكتلات التى تحيط بالعالم	*
٢١		دور ايجابى مشرف للمسلمين	*
٢٢		سر حيوية المسلمين	*
٢٢		النتائج السلبية	*
٢٣		النتائج المضادة والعكسية	*
٢٤		لا بد من اختيار	*

الفصل الثالث اسس التضامن الاسلامى

٢٩		حقيقة واقعة	*
----	-------	-------------	---

صفحة

٣٠	توفر عوامل التجمع	*
٣١	العامل الجغرافي	*
٣٢	العامل التاريخي	*
٣٣	العوامل السياسية	*
٣٤	العوامل الاقتصادية	*

الفصل الرابع

مضمون الدعوة للتضامن الاسلامي

٣٩	تجمع حضارى بناء لا تكتل سياسى	*
٣٩	مرحلة جديدة فى التعاون الدولى	*
٤١	مضمون واقعى عملى غنى بالامكانيات	*
٤٢	التنسيق الثقافى الاجتماعى	*
٤٣	التنسيق الفكرى والعقيدى	*
٤٤	التنسيق السياسى	*
٤٥	التنسيق الاقتصادى	*
٤٧	خاتمة	*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قليل كلام كثير عن « الشرق الاوسط » .
ولم يحدث أن أثار هذا الكلام جدلا بين رجال السياسة ، ولا بين فرسان الصحافة ولا أبواق الدعاية . ولم يحدث أن أثار هذا الكلام عن « الشرق الاوسط » نائرة عملاء القوى السياسية الطامعة أو المتنازعة أو المتنافسة على السيطرة على هذه « المنطقة » .

ثم تكلم صوت عن « التضامن الاسلامي » .
فما كاد هذا الصوت يرتفع ، وما كادت دعوته تصل الى الاسماع حتى سلطت عليها الاضواء ، ودارت حولها معارك الجدل والكلام ، وغطى حقائقها عجاج الخيل المقلبة والمديرة في كر السياسة وفرها ، وكاد أن يطفي عليها ضجيج أبواق الدعاية الناعقة ، وعملاء التهديدات الخفية والظاهرة .. تلاها دوى « المفرقات » والمتفجرات المحذرة والمندرة والمهددة ..

كل هذا من أجل اسكات هذه الصوت ، .. واخراس هذه « الدعوة » .
فما هو السبب في ذلك ؟

وما هو الفرق اذن بين الكلام عن الشرق « الاوسط » الذي لا يثير شياطين الرعب والفزع — وبين الكلام عن تضامن اسلامي ؟
لن تجد الاحابة على هذا السؤال على صفحات الجرائد ، ولا المجلات ، ولا الاذاعات النائرة المستنفرة ، ولا كتب « الشيوعية » الموجهة . بل عليك أن تذهب الى حرم الجامعة ، أو محراب العلم ، لتجد باحثا متخصصا ، أو عالما متهربا — لبحث لك عن الجواب في حركة « التاريخ » ، وتصارع القوى والمذاهب ..

وقد وجدنا هذا العالم المتخصص ، ووجهنا له السؤال ، فكتب لنا هذا البحث .

ونحن نكتفي بتقديمه للقراء ليحكموا عليه ، ويستفيدوا من منهجه الموضوعي العلمي ..

ويحكموا بعد ذلك : من هو أقرب للمنهج العلمي الموضوعي ، والواقع العملي — هل هم دعاة « التضامن الاسلامي » أم خصومه ؟

تقديم البحث

الشرق الأوسط والعالم الاسلامى

عندما يتحدث العلماء عن التعايش السلمى بين «الشرق» و «الغرب» ، او عن الصراع السياسى أو التنافس الصناعى والفنى بين «الشرق» و «الغرب» فانهم — على خلاف عامة الناس وصحافة الجماهير — لا يقصدون «الشرق» الجغرافى ، ولا «الغرب» الجغرافى — وإنما يعنون بالدرجة الاولى الشرق بمذهبه «الشيوعى» ، والغرب بمذهبه «الرأسمالى» . وكلمة المذهب هنا هى عنوان « الشخصية المميزة » لحضارة كل من المنطقتين الجغرافيتين .

فلا جدال اذن فى أن للشرق شخصيته المميزة له مذهبيا وحضاريا — وللغرب كذلك . ولا يعترض أحد على الاعتراف لكل منهما بهذه الشخصية الحضارية المتميزة فى مواجهة الكتلة الاخرى .

كذلك عندما يتكلم العلماء عن الشرق « الاوسط » — فانهم لا يقصدون به فقط منطقة جغرافية معينة — كما يفهم قراء الصحف اليومية ومستمعى الاذاعات الشعبية — وإنما يقصدون منطقة لها خصائصها التاريخية ، والثقافية ، والعقائدية والمذهبية المميزة لها والتي تجعلها وسطا بين « الشرق » و « الغرب » .

ومهما تكن الخصائص المميزة لهذه المنطقة « الوسطى » فانها تدور حول الاسلام الذى يمثل تاريخها ، وحضارتها وعقيدتها ومذهبها .

والفرق بين اصطلاح « الشرق الاوسط » الذى جرى العمل به ، وبين اصطلاح « العالم الاسلامى » فرق واحد : هو أن الاصطلاح الاول يعطى لهذه المنطقة صورة جوفاء فارغة من كل محتوى عقيدى أو مذهبى — أما الاصطلاح الثانى فانه يحدد بوضوح وصراحة المحتوى المذهبى والفكرى والعقيدى والحضارى الذى يحدد « شخصية » تلك المنطقة — فى مواجهة الكتل المذهبية العالمية فى «الشرق» ، وفى «الغرب» .

والاصطلاح الاجوف يستريح اليه أولئك الذين يهتمهم مسح صورة الشرق الاوسط ، وتفريغه من شخصيته الذاتية ليكون تابعا وذيلا لاحدى القوتين الفكريتين المتصارعتين على السيطرة العالمية ، قوة « الكتلة

الشرقية الشيعية » أو « الكتلة الغربية الرأسمالية » .

أما شعوب الشرق الأوسط الطامحة الى بناء كيائها الفكرى والعقيدى والمذهبى متميزة عن هاتين القوتين العالميتين المتنافستين ، فانها لا تجد شخصيتها وذاتيتها الا فى حضارة الاسلام التى ألفت بين عقائدها وآخت بين أديانها ووحدت نظمها ومزجت ثقافتها وأدمجت سلالاتها وعناصرها — وبهذا يتكون « العالم الإسلامى » من عنصرين : عنصر جغرافى هو « الشرق الأوسط والادنى » وعنصر حضارى تاريخى ثقافى عقيدى هو « الحضارة الإسلامية » .

وهذا هو ما نقصده عندما نتكلم فى بحثنا عن « العالم الإسلامى » .

الفصل الاول

واقع "العالم الاسلامي"

واقع الضعف والانقسام

واقع المسلمين اليوم يتلخص في كلمتين : ضعف وانقسام .

وقد أثبت تاريخ الاسلام أن هاتين الكلمتين مترادفتين متلازمتين كأن كل واحدة منهما تدل على الأخرى وكأنهما يعبران عن حالة واحدة .
فمنذ بزوغ نور الاسلام الى اليوم كانت وحدة المسلمين هي قوتهم ومجدهم وعظمتهم ، وكانت فرقتهم هي الضعف والانهيار والتخلف .

والمسلمون اليوم يقاسون من الضعف والتخلف بقدر ما بينهم من فرقة وما بين شعوبهم من خلافات وانقسامات . وإذا كان تاريخ المسلمين يصوره خط بياني يرتفع بارتقاعهم وينخفض بانخفاضهم فإن هذا الخط يمر اليوم في مرحلة تجتمع فيها أسباب الضعف والتخلف حول عوامل الفرقة والانقسام ويدل — هذا الخط البياني — على أن حالة المسلمين هي على غير ما يريدونه من قوة ، ودون ما يستحقونه من مكانة في عالم المدنية والحضارة الإنسانية .

فالمسلمون اليوم لا يحتلون في العالم المركز الذي يتناسب مع تعداد شعوبهم واتساع أوطانهم وما تحتويه أرضهم من ثروات ، وما تتمتع به من مركز جغرافي واستراتيجي فذ .

والمسلمون لا يحتلون في عالم اليوم المركز الذي يتناسب مع رسالتهم السامية ، وحضارتهم الإسلامية التي أضاعت العالم كله خلال العصور الوسطى حينما كانت سواهم من الأمم غارقة في ظلام التأخر والجهل .

والمسلمون اليوم تفرق بينهم الأهواء ، وتمزقهم الخلافات الطائفية ، والانقسامات الفكرية ، وما زالت تشغلهم تلك الانقسامات والخلافات عن العمل الموحد من أجل قضاياهم الكبرى ومصالحهم المشتركة .

والمسلمون اليوم يصرفون طاقاتهم للخصومات المحلية ، والمعارك الداخلية ، والمشاكل الإقليمية ، بدلا من الوقوف صفا واحدا كائنه البنيان المرصوص وراء أخوانهم الذين ما زالوا يخوضون معارك التحرير لاسترداد حقوقهم المشروعة في فلسطين ، وفي كشمير وفي الصومال ، وفي الجنوب العربي .. وغيرها .

تجاوزنا مرحلة الهبوط وبدأنا طريق الصعود

أن مشاكل المسلمين اليوم في عمومها من مشاكل النمو لا من مشاكل التدهور والانهيار ، ذلك أن انهيار الدول الإسلامية بدأ في نهاية القرون الوسطى ، عندما وقعوا فريسة للتخلف والاختلاف ، في نفس الوقت الذي

سارت فيه اوربا في طريق النهضة والقوة نتيجة للعوامل الطبيعية والاقتصادية التي أوجدت الثورة الصناعية والنهضة العلمية والقوة العسكرية التي دفعتها الى التوسع الاستعماري .

وقد اجتاحت الطوفان الاستعماري الاوربي أغلب مناطق القارتين القديمتين — آسيا وافريقيا — وطوق الدولة العثمانية الاسلامية التي بقيت وحدها جزيرة معزولة مطوقة تقاوم المد الاستعماري ، الى ان انهارت عقب هزيمتها في الحرب العالمية الاولى وبذلك وصل المسلمون الى حضيض هوة التدهور والانهيار ، وتحطم آخر مظهر من مظاهر قوتهم ووحدتهم ، فمزقت أوطانهم الى أقاليم متناثرة تحت أقدام جيوش الاستعمار الاجنبى في صورة احتلال أو انتداب ، أو حماية أو تبعية .

ولكن المسلمين لم يستكينوا لطغيان الامبراطوريات الاوربية الغازية المستغلة الطاغية ، بل رفعوا علم المقاومة والنضال الوطنى في كل جزء من اجزاء وطنهم الكبير واستطاعوا أن يردوا المد الاستعماري ، بفضل جهادهم وتضحياتهم ودماء شهدائهم وأبطالهم التي روت تراب اقطارهم من أقصى المشرق الى أقصى المغرب ، واستردت أغلب الشعوب الاسلامية سيادتها واستقلالها ، وبذلك بدأت طريقها للصعود نحو القوة والمجد واجتازت أول مرحلة من مراحل سلم النهضة والرقى بانتصارها فى معارك الاستقلال الوطنى .

انتصرنا في معارك الاستقلال الوطنى :

نعم ، لقد كانت أول المراحل في طريق النهوض والصعود هى مرحلة الكفاح الوطنى الذى خاضه كل شعب من شعوب العالم الاسلامى لتطهير بلاده من الاحتلال الاجنبى الاستعماري .

انطلاقا من مبادئ الاسلام التي عبر عنها جمال الدين الافغانى بقوله : « لا يجتمع الاسلام والذل في قلب واحد » . لم يستكن شعب واحد من شعوب العالم الاسلامى لواقع الذلة والفرقة والانحطاط الذى فرضه عليه الاحتلال الاجنبى ، بل استأنف كل شعب من شعوب الاسلام نضاله الوطنى للتحرر من السيطرة الاستعمارية ، والتخلص من الاحتلال الاجنبى واسترداد حريته ، والدفاع عن أرضه وعن سيادته .

وتمخضت هذه الانطلاقات عن ثورة تركيا لصد الاحتلال اليونانى عن الاناضول واسترداد الاستانة ، وعن ثورة مصر ضد الحماية الانجليزية والاحتلال الانجليزى سنة ١٩١٩ ، وثورات العراق وسورية ، ونضال شعب فلسطين ، وانتفاضة الوهابيين في الجزيرة ، وحركة الربطة الاسلامية في الهند ، وثورة عبد الكريم في المغرب ، ونضال الدستوريين في تونس وكفاح الشعب الليبي البطل بقيادة عمر المختار وزعامة السنوسيين ضد الغزو الايطالى الفاشستى وغير ذلك من الانتفاضات

التي شملت كل جزء من أجزاء الوطن الاسلامى ، من أندونيسيا الى المغرب حتى توجت هذه المرحلة بثورة الجزائر وانتصارها عام ١٩٦٢ ، الذى يمكن اعتباره خاتمة المرحلة الاولى للنضال الاسلامى : مرحلة الكفاح الوطنى أو النضال القومى .

وبانتصار الشعوب الاسلامية فى هذه المرحلة دخلت المرحلة الثانية : « مرحلة البناء والانشاء » بنفس القوة والعزيمة والايمان والحكمة التى تسلمت بها فى المرحلة السابقة .

أهداف المرحلة الحالية

تواجه الشعوب الاسلامية اليوم نفس المشاكل والصعاب التى تواجهها جميع الشعوب التى تحررت من الاستعمار والاحتلال الاجنبى ، والتى ورثت عنهما « حالة التخلف » التى تعانيها جميع شعوب « العالم الثالث » أو الدول « النامية » .

وهذه المشاكل تدور حول هدفين رئيسيين :

— الهدف الاول : التحرر من حالة « التخلف » الاقتصادى والتخلف

الثقافى والعلمى والفنى ، وذلك بانشاء الصناعات ، والسيطرة على منابع الثروات الطبيعية والوصول الى درجة الكفاية الفنية والعلمية التى تمكنها من استغلال المواد الاولى وتحويلها الى مواد مصنوعة كلما كان ذلك ممكنا . ويرتبط بذلك تنمية موارد الثروة الزراعية والتوسع فيها بالقدر الذى يناسب عدد السكان وزيادة تعدادهم . وعلى العموم كل ما يؤدى لرفع مستوى معيشة الفرد ، وبالتالي مستوى ثقافته وتكوينه العلمى والفنى وقدرته على الانتاج وطاقته فى العمل ، مما يزيد اعتزازه بكرامته الانسانية ، وقدرته على السمو نحو المثل العليا والعقائد الروحية والاخلاقية متحررا من قيود الحاجات المادية وبؤس العيش .

— الهدف الثانى : قيام تلك الشعوب بدورها فى الحضارة الانسانية

كشعوب حرة تشعر بالمساواة التامة ازاء غيرها من الشعوب . ويستلزم ذلك القضاء الكامل على بقايا السيطرة الاجنبية أو « الجيوب » الاستعمارية . ذلك ان الاستعمار ، عندما اضطر الى التراجع أمام الكفاح الوطنى الذى خاضته شعوبنا ضد الاحتلال ، قد تنازل عن مصالحه الثانوية ، مصمما على حماية ما يسميه مصالحه « الجوهرية » لاطول مدة ممكنة — ولذلك يحاول ابقاء بعض القواعد و « الجيوب » فى أنحاء متعددة من العالم الاسلامى وأهم مثال لتلك « الجيوب المصطنعة » هى « اسرائيل » التى يحمىها لأنه يعتقد أنها ستكون له نقطة ارتكاز أو رأس جسر يستخدمه عند اللزوم لحماية ما يعده « مصالح جوهرية » أو ليطلق منه قواته ومؤامراته لضرب أى شعب يعتقد أنه يهدد تلك « المصالح الجوهرية » .

والشعوب الاسلامية كغيرها من الشعوب النامية قادرة على تحطيم تلك القواعد المصطنعة اذا اقنعت القوى الدولية التي تقف وراءها بأنها لا تستطيع المحافظة على مصالحها الا بالمحافظة على صداقة شعوبنا والتعاون معها ، وأن الجسر الوحيد الذي تمر عليه مصالحهم هو جسر الصداقة والتعاون مع الشعوب الاسلامية على المستوى الانساني ، مع الاعتراف الكامل بحقوق شعوبنا واحترام كرامتها وشرفها ومحو كل أثر من آثار السيطرة حتى ولو كانت سيطرة غير مباشرة عن طريق القواعد المصطنعة أو الجيوب الدخيلة ، وأن أساس التعاون بين المسلمين وغيرهم من الدول صغيرها وكبيرها هو الاحترام المتبادل والمساواة في الكرامة ، والحقوق ومحاربة العدوان من أى جهة كان .

لا شك في مقدرة شعوبنا

ان الاسلام قد أثبت في الماضي والحاضر أنه يعطى شعوبه قوة هائلة جبارة تهيم لها النصر ، وتفتح لها طريق العزة والمجد متى اتحدت ارادتها وحددت أهدافها وسارت في طريق الكفاح والعمل متسلحة بآيمانها وعقيدتها وتضحياتها .

هذه حقيقة تاريخية ثابتة لا يمكن أن يتجاهلها عدو ولا صديق ، ولا يجوز أن يغفلها أحد من حسابيه . فاذا أعلنت تلك الشعوب عزمها على تحقيق هدف مشروع من أهدافها ، ثم مضت سنون طويلة دون أن تصل لهذا الهدف ولم تقترب منه — بل ربما ابتعدت عنه — نليس الذنب ذنبها وانما يجب البحث عن الخطأ في الخطة التي وجهتها لها حكوماتها ودولها، أو في الطريق الذي اختارته للسير نحو ذلك الهدف . ولكن ليس من حقنا أن نشك لحظة واحدة في مقدرة شعوبنا ولا في انتصارها .

ففي المرحلة السابقة — مرحلة النضال الوطني — كافح كل شعب من الشعوب الاسلامية وحده ، وكان أعزل بدون سلاح ولا دولة ولا جيش وكان معزولا عن أشقائه وجيرانه واخوانه ورغم ذلك كله ، انتصر واستطاع أن يحقق استقلاله الوطني ، وأن يفرض على القوى الاجنبية التي احتلت بلاده ، أن تتراجع وتخرج من وطنه وتسلم له باستقلاله وسيادته على أرضه — وهكذا انسحب اليونان من الاناضول ، وانسحب الانجليز من مصر ومن العراق والاردن ، وانسحب الفرنسيون من سوريا ولبنان ومن اقطار المغرب العربي واحدا بعد الاخر .

واليوم وقد استقلت تلك الشعوب واستردت حريتها ، لا يجوز لاحد من أبنائها ولا من غير أبنائها أن يشك لحظة واحدة في استطاعة تلك الشعوب وهي مستقلة ، أن تحقق في فلسطين ما حققه الشعب الجزائري وحده في الجزائر ، وان تحقق لكشمير ما حققته لشعب باكستان واندونيسيا ، وأن تدافع عن حقوق الاتراك في قبرص كما دافعت من قبل عن أرض الاناضول .

ثم أننا اذا رجعنا الى مقاييس التقدم الصناعى والانشائى لوجدنا ان نهضتنا بدأت فى الوقت الذى بدأت فيه نهضة اليابان التى نراها اليوم قد تحررت من حالة التخلف ، ونحن لم نتحرر بعد — فليس معنى ذلك أن شعوبنا أقل مقدرة من شعب اليابان ، أو أنها عاجزة عن أن تحقق ما يحققه شعب اليابان من معجزات فى ميدان الصناعة والعلم والرقى والنهضة وانما قد يكون معنى ذلك فقط أننا أخطأنا الطريق .

وعلىنا أن نبحث عن هذا الخطأ وأن نعالج أسباب العجز الذى تشعر به شعوبنا فى الوقت الحاضر عن حل مشاكلها وبناء اقتصادها وقوتها .

أسباب العجز الحالى

ما هو السر اذن فى أن تعجز شعوبنا ودولنا المتعددة فى أن تحقق ما حققه شعب « واحد » مثل شعب اليابان فى مجال النهضة الصناعية والفنية والعلمية ؟

ولماذا نذهب بعيدا الى الشرق الاقصى ؟ ان علينا ان نسأل أنفسنا عن السر فى أن تعجز الشعوب الاسلامية المستقلة العديدة عن أن تحقق فى فلسطين أو فى كشمير ما حققه شعب « واحد » منها فى الجزائر أو فى تونس أو فى مصر أو فى سوريا مثلا .

قد تكون هناك أسباب كثيرة ، وقد يكون بعضها خارجا عن ارادتنا ، كالظروف الدولية ، أو الموقع الجغرافى أو ملابسات القضية .

ولكن هناك سبباً يتبادر الى الذهن ، ولا يجوز لنا تجاهله ولا أن نسقطه من حسابنا — ذلك ان عجز شعوب متعددة عن تحقيق ما حققه شعب « واحد » قد يكون سبه أن هذا « التعدد » لم يكن مصدر قوة ، ولا يكون التعدد مصدر ضعف الا اذا كان معناه الفرقة والانقسام والخلافات .

وعلاج هذه الفرقة لا يكون الا بأن تجمع هذه الشعوب كلمتها ، وتلم شملها ، وتوحد خطتها ، وتقدم على حماية مصالحها وتحقيق أهدافها متسلحة بوحدة الارادة وتضامن الشعوب .

علينا اذن أن نبحث عن الاطار الذى يمكن الشعوب الاسلامية من أن تتسلح فى نضالها الحالى بما كان كل واحد منها يتسلح به فى نضاله الوطنى من اتحاد وتضامن وعزم وإيمان .

هذا الاطار الضرورى للتعاون والتضامن بين الشعوب الاسلامية يجب أن ينسجم مع ظروف عالم اليوم الذى تسوده التكتلات الدولية ، وتسيطر عليه حركة الوحدة العالمية ، وأن ينسجم أيضا مع الدور الذى قامت به الشعوب الاسلامية فى حركة التكتلات الدولية فما هو هذا الدور؟

الفصل الثاني

دور المسيحيين في عالم التكنولوجيا

عالم الوحدة

عالم اليوم هو عالم « الأمم المتحدة » ، يقصد بذلك أننا سائرون نحو « وحدة عالمية » . وهذه المنظمة العالمية إنما هي أداة اختارتها شعوب العالم للتعاون في سبيل هذا الهدف الموحد .

يقصد بذلك أيضا أن كل شعب من شعوب العالم يجب أن يهئ نفسه لهذه الوحدة ، وأن كل مجموعة من شعوب العالم يجب أن تعد نفسها للعمل لها والانطلاق في طريقها .

وكل شعب أو مجموعة من الشعوب تسير في غير هذا الطريق ، إنما تلقى بنفسها في اتجاه مضاد لسير العالم كله ، وتحكم على نفسها بالفناء ، كالنيازك التي تنفصل عن الكواكب السيارة أثناء انطلاقها في مدارها فتحترق في الفضاء .

ولم تنته شعوب العالم عند حد انشاء المنظمة العالمية للأمم المتحدة ، بل سارت مع منطق الوحدة والتكتل فأنشأت منظمات اقليمية ، ومجموعات اقتصادية أو تاريخية ، وتكتلات سياسية لكي تقوم بنفس الدور الذي تقوم به الأمم المتحدة ، ولكن في نطاق أضيق أو لاهداف أقرب .

والجبر لوجود تلك المنظمات والتجمعات في عالم الأمم المتحدة هو أنها تعمل على تجميع الشعوب وتكتيلها وتمكينها من التعاون والتقارب ، للسير في طريق التضامن العالمي والوحدة العالمية التي تعمل لها الأمم المتحدة .

مرحلة التكتلات ادولية :

مرحلة التكتلات الدولية ، مرحلة تاريخية حتمية . كما ان الحركات الوطنية والقومية كانت طبيعية وضرورية في مرحلة معينة من مراحل التطور التاريخي ، ف كذلك حركات التجمع والتكتلات بين شعوب العالم ودوله هي ضرورات طبيعية وحتمية في عالم اليوم .

فحركة « القوميات » اجتاحت أوروبا في القرن التاسع عشر كضرورة لتصفية الامبراطوريات التي بنيت على الغزو العسكري والسيادة العنصرية . ثم انتقلت هذه الحركة الى شعوب آسيا وافريقيا بعد ذلك لنفس الغاية — وهي تصفية الامبراطوريات الاستعمارية الاوربية التي

كانت تفرض سيادتها ونفوذها على شعوب آسيا وأفريقيا . والحركات الوطنية التي قامت بها جميع الشعوب الإسلامية تدخل ضمن إطار هذا الكفاح الوطني ضد السيطرة الأجنبية والاحتلال الاستعماري لاقطار العالم الإسلامي .

واليوم يشعر المسلمون ، كما تشعر جميع شعوب العالم باندفاع حتمي نحو التجمع والتكتل ، اذ لا يتصور أن يبقى المسلمون وحدهم متجاهلين للتيار العالمي الذي يدفع الشعوب نحو التكتل والتجمع .

وتيار التكتل والتجمع بين الشعوب الإسلامية ، كما هو بالنسبة لغيرهم ، لا يمكن أن يكون نتيجة لنوازع عاطفية وقتية ، ولا ناشئا عن مصالح شخصية أنانية ، ولا ثمرة عوامل سياسية مصطنعة — بل هو على العكس من ذلك بالنسبة للمسلمين كما هو بالنسبة لغيرهم اتجاه حتمي يفرضه عوامل مادية واقتصادية وعلمية وحضارية واقعية لا يمكن تجاهلها ولا التهرب من آثارها .

ان الاتجاه نحو التجمع والتكتل يفرضه واقع عالم اليوم ، عالم سرعة المواصلات واختصار المسافات ، عالم الطائرات والصواريخ ، عالم الصناعات الثقيلة والانتاج الكبير ، عالم الأقمار الصناعية وغزو الفضاء ، عالم لم يعد فيه مجال لحدود مقفولة بين الأمم ، ولا لحواجز فاصلة بين الشعوب ، ولا لدول صغيرة معزولة أو منطوية على نفسها .

أن عالم اليوم هو عالم القارات ، عالم المجموعات البشرية الضخمة ، عالم الكتلة الغربية والكتلة الشرقية ، عالم مجموعة الدول الأمريكية ، ومنظمة الوحدة الإفريقية ، عالم الكتلة الآسيوية الإفريقية ، عالم كتلة الدول غير المنحازة في القارات الثلاث — فلا محل فيه لدول مفككة منعزلة متنازعة متفرقة .

سلسلة من التكتلات الدولية تحيط بالعالم :

يمكن القول بأنه لا توجد دولة في العالم لا تضع نفسها داخل احدي الكتل أو المجموعات الدولية ، لان كل دولة أصبحت توفق بأن بقاءها لا يمكن أن يحميه الا مجموعة من الدول تحيطها أو تقف معها أو تؤيدها أو تدافع عنها . وهذا هو سر العدد الكبير من التكتلات القائمة في جميع أنحاء العالم ومناطقه اليوم .

فدول أمريكا الشمالية والجنوبية تجمعها منظمة الدول الأمريكية . والولايات المتحدة وأوروبا الغربية تجمعها منظمة « شمال الاطلسي » .

وروسيا السوفياتية ودول أوروبا الشرقية يجمعها « حلف وارسو » .
ودول افريقيا تجمعها منظمة « الوحدة الافريقية » . والدول العربية
تضمها « منظمة الجامعة العربية » . والدول الاسلامية غير العربية
(تركيا وايران وباكستان) يضمها « الحلف المركزى » . ودول شرق
آسيا يضمها « حلف جنوب شرقى آسيا » . ودول آسيا وافريقيا تشترك
فى كتلة الدول الاسيوية الافريقية . ودول عدم الانحياز « تحاول تكوين
مجموعة الدول غير المنحازة . والصين هى بذاتها كتلة ضخمة ، ومع
ذلك فهى تحيط نفسها بمجموعة من الدول الشيوعية تحيط بها فى شرق
ووسط آسيا .

هناك اذن شبكة عديدة العقد وسلسلة متشابكة الحلقات — من
التكتلات الدولية تحيط بالعالم وتغطى جميع أنحائه وتشمل جميع مناطقها،
بما فى ذلك دول العالم الاسلامى .

فما هو دور الشعوب المسلمة فى بناء هذه التكتلات ، وتجميع هذه
المجموعات ، وما هى نتائج جودها فى هذا السبيل بالنسبة لمصالحها
وقضاياها ؟

دور ايجابى مشرف للمسلمين

من الانصاف لشعوبنا الاسلامية ومن دواعى اعتزازنا بيقظتها
ووعيتها أن نقرر بأنها ساهمت بدور ايجابى كبير فى تكوين التكتلات الدولية
القائمة فى العالم اليوم .

فاذا استثنينا منظمة الدول الامريكية التى يبعدها عنا واقعها
الجغرافى ، وحلف وارسو الذى يبعده عنا اتجاهه المذهبى (الا اذا اعتبرنا
أن مسلمى السوفيات كان لهم دور ايجابى فى تكوينه) باستثناء هاتين
المجموعتين ، نجد ان جميع التكتلات والمجموعات الدولية الاخرى فى العالم
ساهمت الدول الاسلامية والشعوب المسلمة فى تكوينها وفى تدعيمها ،
ولا زالت تساهم باخلاص وصدق فى تسييرها وتحقيق أهدافها .

ليس ذلك فقط ، بل أن من الملاحظ أن الشعوب المسلمة والدول
الاسلامية كان لها فى اغلب الاحيان زمام المبادرة فى الدعوة لانشاء
التكتلات الموجودة حاليا فى قارتى آسيا وافريقيا جميعها بلا استثناء .

فأول منظمة اقليمية فى هاتين القارتين كانت الجامعة العربية التى
أنشئت قبل انشاء منظمة الامم المتحدة ، ولم تسبقها الى الوجود فى عالم
المنظمات الدولية القائمة اليوم سوى منظمة الدول الامريكية .

ثم ان الدول العربية كان لها زمام المبادرة لانشاء مجموعة من الدول الناشئة النامية كانت تحمل اسم المجموعة « العربية الاسيوية » فى الأمم المتحدة قبل مؤتمر باندونج وهى التى تحولت بعد ذلك الى مجموعة الدول الاسيوية الافريقية بعد استقلال عدد من الدول الافريقية وانضمامها لها ، مما هيا الجو لانعقاد مؤتمر باندونج وأعطى له أهيمته التاريخية .

وكانت الدول العربية الاسلامية ، وما زالت ، صاحبة الدور الاكبر فى انشاء منظمة الوحدة الافريقية وتسييرها وخدمة أهدافها وأغراضها . ولا يقل دورها عن ذلك فى تكوين مجموعة الدول غير المنحازة .

سر الحيوية والديناميكية لدى الشعوب الاسلامية

من المؤكد ان الشعوب الاسلامية قامت بدور ايجابى عظيم فى هذه المرحلة التاريخية ، مرحلة التكتلات العالمية . يشهد بذلك عدد المجموعات والتكتلات الدولية التى ساهم فيها المسلمون ، وأهمية مساهمتهم فى تكوينها وتسييرها ، حتى أمكن القول بأن الدور المشرف الذى قامت به الشعوب الاسلامية فى حركة التكتلات، العالمية ، هو اكبر دور قامت به أى مجموعة دولية فى العالم كله ، وفى « العالم الثالث » على الاخص .

وسر هذه الحيوية « والديناميكية » التى اندفعت بها شعوبنا الاسلامية فى بناء التكتلات والمجموعات والسير فى طريق التجمع وتنمية روح التكتل بين الشعوب جميعا على أساس التضامن والتعاون ، سر ذلك بلا شك هو العقيدة الاسلامية القائمة على الاخوة بين البشر ، مصداقا لقول الرسول الكريم « كلكم لآدم وآدم من تراب » تلك الاخوة التى تفرض المساواة والتعارف والتعاون بين جميع الاجناس والشعوب والأمم — مصداقا لقوله تعالى فى كتابه الكريم « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » .

النتائج السلبية

يشعر المسلمون بأن الدور الايجابى الذى قاموا به — وما زالوا يقومون به — فى اطار التكتلات الدولية التى شاركوا فيها لم يؤد الى النتائج الايجابية التى كانوا ينتظرونها بالنسبة لمصالحهم الاساسية وقضاياهم الكبرى . ويتألمون لان هذه النتائج السلبية تتناقض مع دورهم الايجابى فى حركة التكتلات ومع كل ما أبدوه من اخلاص وما بذلوه من جهودات فى سبيل تكوين التكتلات وتسييرها وتحمل التزاماتها . وهم

يذكرون مثلاً لذلك : موقف الدول الإسلامية المشتركة في منظمة الوحدة الأفريقية ، التي تتحمل العبء الأكبر في تسيير تلك المنظمة ، وقد وقفت دائماً في مقدمة المدافعين عن حقوق الشعوب الأفريقية ضد الحكم العنصرى في جنوب افريقيا وروديسيا — ومع ذلك فإن كثيراً من الدول الأفريقية المشتركة في تلك المنظمة لا تقف نفس الموقف بالنسبة للعدوان الصهيونى العنصرى على شعب فلسطين . ومثل ذلك يقال أيضاً بالنسبة لبعض زعماء « عدم الانحياز » الذين ينحازون فعلاً الى جانب العدوان الصهيونى على حقوق شعب فلسطين — وكذلك بالنسبة لزعماء الدول التى لها مصالح « جوهريّة » في البلاد العربية ، ومع ذلك لم تشعر لحد اليوم بأن تلك المصالح الهامة تستدعى تأييد وجهة نظر الدول العربية في فلسطين .

والمسلمون يندهشون أيضاً عندما يرون دولة إسلامية كباكستان ارتبطت بحلفين عسكريين ، ومع ذلك فإن حلفاءها لا يعتبرون ذلك سبباً كافياً للزامهم بتأييدها في الدفاع عن حق شعب كشمير في تقرير مصيره — ولا مانعاً لهم من التسابق مع السوفييات على امداد الهند المعتدية على كشمير بالسلاح والمال رغم أنها لم تشترك معهم في احلاف .

وفي نطاق التصنيع والتنمية ورفع مستوى المعيشة تشعر الشعوب الإسلامية بأنها لم تحقق في هذه الناحية نتائج ايجابية من انضمامها الى تلك التكتلات . وهى بالطبع لم تكن تتوقع كثيراً من جانب الدول النامية المشتركة معها في الكتلة الآسيوية الأفريقية ، أو مجموعة الدول غير المنحازة أو منظمة الدول الأفريقية ، ولكنها كانت تتوقع أكثر من ذلك من جانب الدول الكبرى التى تربطها مع عدد من الدول الإسلامية احلاف عسكرية أو مصالح جوهريّة .

النتائج المضادة والعكسية

قد لا ينسى المسلمون أن من واجبهـم الاعتماد على أنفسهم للدفاع عن حقوقهم ومصالحهم ضد كل عدوان ، — سواء كان هذا العدوان فى فلسطين أو كشمير أو قبرص أو الصومال أو غيرها — وأنه ليس من حقهم أن يعللوا عجزهم وفشلهم في هذا الدفاع بتكاسل شركائهم واصدقائهم الأمازيقة أو الآسيويين أو غيرهم من الغربيين أو الشرقيين . ولكنهم يظنون أن ارتباطات بعض شعوبهم في تلك المجموعات لم يقتصر اثره على سلبية موقف شركائهم ، بل تعداه الى ما هو اخطر من ذلك واشد

ضررا على وحدتهم ومصالحهم . فاذا كانت بعض الدول الاسلامية تقف موقفا من اسرائيل يناقض موقف غالبية الدول العربية والاسلامية ، فانهم يغفلون ذلك بارتباطها ببعض التكتلات ، وتأثير حلفائها عليها ، واضطراب تلك الدول الاسلامية ، أو رغبتها في أن تجارى موقف شركائها بالنسبة لاسرائيل . ويعتقد كثيرون أن مثل هذه التناقضات التي وجدت بصفة فعلية داخل المجموعة الاسلامية نتيجة للارتباطات الخارجية هي التي دفعت بعض الدول الاسلامية الاخرى الى أن تقف موقفا متخاذلا من قضية كشمير أو قبرص ، أو الى أن تؤيد صراحة موقف المعتدين على حقوق شعب كشمير وحقوق مسلمى قبرص وارتريا والصومال .

فالمسلمون اليوم يتألون حينما يرون أن اندفاعهم الحماسي ، ومساهمتهم الايجابية في حركة التكتلات الاقليمية أدى في نظر كثير منهم الى نتائج مضادة : هي تفكيت وحدة الشعوب الاسلامية ، وخلق تناقضات بين مصالحها السياسية ، وبالتالي ضياع مصالحها المشتركة وقضاياها الجوهرية ، وعجزها الواضح أمام تلك المشاكل ، وفشلها في التغلب عليها ، وعجزها بالتالى عن تحقيق اهدافها في التنمية الاقتصادية ورفع مستوى المعيشة — لبقائها منشغلة بتلك القضايا الاساسية التي تعوق تفرغها لمعركة البناء والانشاء والتنمية .

الاختيار

هذا هو واقع العالم الاسلامي ، في نظر كثير من المسلمين . وهو واقع لا يرضى طموحهم ولا يحقق مصالحهم ولا يمكن لهم أن يستسلموا له . ولكن ما هو العلاج لهذه الحال ؟

من السهل ان يلقي المسلمون على غيرهم تبعة فشلهم وأن يعتبروا مواقف الافارقة أو الاسيويين ، أو الغربيين هي السبب في عجزهم عن حل قضاياهم الكبرى ، مثل قضية فلسطين وكشمير ، والصومال ، وقبرص ، وقضايا التنمية الاقتصادية والصناعية . ومن السهل ايضا أن يتقدم السذج والبسطاء والمتطبلون بعلاج معلب مغلف مستورد من الخارج ، يتلخص في أن يبحث المسلمون عن « حلفاء » آخرين غير الافارقة وغير الاسيويين وغير الغربيين — وخصوصا اذا كانت يد هؤلاء الاصدقاء الجدد ممدودة دائما ، وان كنا لا نعلم ماذا في اليد الاخرى التي يخفونها وراء ظهورهم .

✳ هناك اذن من يدعو المسلمين الى ان يفتحوا أبوابهم وقلوبهم لدعوة الحلفاء الجدد ، ولما تحمله تلك العوة من مذاهب وعقائد ومخاطر .

✳ وهناك من يعترض على ذلك — ويرى أننا لم نصل الى درجة من اليأس ولا من الضعف لكي نلقى بأنفسنا في أحضان إحدى الكتلتين لتحل لنا قضايانا وتنصرنا على أعدائنا وتريحنا من جهل أصدقائنا وعبثهم بنا وبمصالحتنا — بل هناك طريق الاعتماد على أنفسنا ، وعلى تاريخنا وعلى عقائدنا ، وعلى شخصيتنا .

هؤلاء هم حملة لواء الدعوة الى التضامن الاسلامي ، اذ يرون فيه العلاج الوحيد ، والاخير لمشاكل المسلمين وقضايهم ، والضمان الاكيد لمستقبلهم وشخصيتهم وعقائدهم ومذاهبهم واستقلالهم وحريتهم — وعلى المسلمين أن يختاروا ... بين الدعوتين !!

الفصل الثالث

اسس التضامن الاسلامى

التضامن بين المسلمين حقيقة واقعة •

التضامن الاسلامى ليس فكرة خيالية ، ولا أملا لم يتحقق ، ولا هدفا ينبغي العمل لتحقيقه بل هو حقيقة واقعة .

ولا يجادل فى هذه الحقيقة أحد من المسلمين ، ولا من غير المسلمين — حتى أن من يعارضون دعوة التقارب الاسلامى لا ينازعون فى وجود هذا التضامن ولا يشكون فى حقيقته ولا ينكرونها ، وإنما يقولون ردا على أصحاب الدعوة .. « ان التضامن بين المسلمين أسمى من كل علاقة سياسية » ولذلك يجب أن يبقى فوق التنظيمات « السياسية » ، وفوق الارتباطات والتكتلات الدولية ..

لماذا إذن يقر الجميع بحقيقة التضامن الاسلامى ، ولا ينازع فيه أحد؟ لان هذا التضامن عقيدة كامنة فى قلب كل مسلم ، لا تنفصل عن إيمانه بوحدة الله ووحدة البشر ووحدة المسلمين فى ظل أخوة الاسلام ، وما يتفرع عن تلك الأخوة الاسلامية من حقوق والتزامات متبادلة بين المسلمين ، أفرادا وجماعات .

والتضامن الاسلامى يتجسم فى وجود « الجماعة الاسلامية » التى تربط بين المسلمين وتمثلهم وتكون عنصرا من العناصر الاساسية فى قواعد الفقه والشرع والقانون الذى ينظم حياة الأفراد والجماعات الاسلامية ابتداء من الاسر الى القبائل والشعوب والدول .

هذه « الجماعة » الاسلامية هى التى نعبر عنها اليوم بلغة عصرنا الحاضر ، باسم « مجموعة الشعوب الاسلامية » .

هذه « المجموعة الاسلامية » موجودة إذن ، ويؤمن بوجودها وحقيقتها كل مسلم — وهى تربط بين المسلمين جميعا مهما تباعدت أوطانهم أو تباينت أجناسهم وألوانهم ، ومهما اختلفت مذاهبهم وآراؤهم وأفكارهم — ومهما تعارضت مصالحهم أيضا فى بعض الاحيان .

والتضامن الاسلامى حقيقة أصيلة ، بعيدة الجذور فى أعماق التاريخ ، وجدت ، ولا تزال موجودة منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من التاريخ المشترك ، والامجاد المشتركة ، والحياة المشتركة ، والثقافة المشتركة ، والمصالح المشتركة .

والتضامن الاسلامى يشمل المسلمين فى جميع أوطانهم وأقطارهم ودولهم وهو لذلك حقيقة ضخمة فى واقع عالم اليوم : ضخمة أولا من الناحية الجغرافية ، لأنها تمتد من بحار الصين فى أقصى الشرق الى المحيط الأطلسى فى أقصى الغرب فهى ضخمة المساحة والحجم . وهى أيضا

ضخمة من الناحية البشرية اذا قيست بموازن الاحصاء ، لانها تضم سبعمائة مليون من البشر من جميع العناصر والالوان والاجناس .

هذه الحقيقة الواقعة للتضامن الاسلامى لا يجوز اهمالها ولا يمكن انكارها ، ويكون من الخطأ أن يتجاهلها أهلها أو غيرهم ممن يعيشون معهم فى عالم اليوم .

عوامل التجمع .

بقى علينا أن نختبر « خصوصية » التضامن الاسلامى من حيث توفر عوامل التكتل والتجمع السياسى فى نطاقه .

فاذا نظرنا الى التكتلات الدولية المعاصرة لنعرف الاسس التى بنيت عليها والعوامل التى ارتكز عليها بناؤها ، وجدنا أن أول تلك العوامل هو العامل الجغرافى تليه العوامل التاريخية والسياسية والعوامل الاقتصادية . وكل مجموعة أو منظمة دولية يغلب عليها أحد تلك العوامل تأخذ صفة المنظمة الاقليمية ، أو المجموعة التاريخية أو الكتلة السياسية أو الحلف العسكرى أو المجموعة الاقتصادية . ولكن تغلب أحد العوامل فى تكوين المجموعة أو الكتلة الدولية ليس معناه عدم توفر العوامل الأخرى كلها أو بعضها .

فاعتبار الجامعة العربية ومنظمة الدول الامريكية منظمات اقليمية ليس معناه عدم توفر العامل السياسى أو العسكرى ، ولا العامل الاقتصادى فى تكوينها بل معناه فقط أن العامل الاول فى هذا التجمع هو وحدة الاقليم أو التقارب الجغرافى . والى جنب الجامعة العربية ومنظمة الدول الامريكية توجد تكتلات أخرى يغلب عليها الطابع الاقليمى ، مثل منظمة الوحدة الافريقية ، ومجموعة الدول الاسيوية الافريقية .

وهناك مجموعات دولية يحل فيها العامل التاريخى محل العوامل الاقليمية والجغرافية — مثل الكومنولث البريطانى (مجموعة الشعوب البريطانية) ومجموعة الدول الافريقية المجاشية (التى كانت ضمن الامبراطورية الاستعمارية الفرنسية فى افريقيا) كما توجد دعوة حديثة — لم يعرف مصيرها بعد — نادى بها الرئيس بورقيبة لتكوين مجموعة الدول الناطقة بالفرنسية فى آسيا وافريقيا . كل هذه المجموعات ذات طابع تاريخى لانها تحل محل الامبراطوريات الاستعمارية السابقة البريطانية أو الفرنسية ، وليس لها أساس جغرافى أو اقليمى .

والأهم من ذلك هى التكتلات الدولية على أساس سياسى أو عسكرى ، وتشمل دول أوربا الشرقية التى تكون الكتلة الشرقية ويضمها حلف « وارسو » ، ودول الكتلة الغربية التى يضمها حلف شمال الاطلنطى . يضاف الى ذلك الحلف المركزى وحلف جنوب شرقى آسيا .

أما العوامل الاقتصادية فقد أخذت تبرز أهميتها في عالم التكتلات الدولية منذ انشاء السوق الأوروبية المشتركة ، الذى يوشك أن يتطور الى وحدة سياسية أوروبية . وعلى هذا النمط بدأت حركة وحدة المغرب العربى بين دول شمال افريقيا العربية الاربعة لتنسيق اقتصادياتها وتنمية تعاونها ، وفي المشرق العربى توجد السوق العربية المشتركة التى ساهمت فيها بعض الدول العربية .

وواجب كل باحث منصف قبل أن يصدر حكما على دعوة التضامن الاسلامى أن يستعرض أوضاع العالم الاسلامى للبحث عن مدى توفر عناصر التجمع التى قامت عليها المجموعات الدولية التى أشرنا اليها ، وهذا ما سنحاوله الان : —

العامل الجغرافى (الإقليمى) :

من الطبيعى أن تكون بين الدول المتجاورة علاقات تاريخية وثقافية ولغوية وجنسية واقتصادية وتجارية أقوى مما بينها وبين الدول البعيدة عنها — لذلك فان التكتل الجغرافى أو الإقليمى ليس أساسه التجاور ، الإقليمى وحده ، وانما يعتمد على العوامل الأخرى للتقارب التى تنتج عن هذا الجوار وترتبط به مثل التقارب اللغوى أو الجنسى أو الثقافى أو الاقتصادى .

واذا نظرنا الى خريطة العالم الاسلامى ، وجدناه يشمل رقعة فسحة متماسكة من سطح الكرة الأرضية ، فى ملتقى القارات الثلاث الكبرى — آسيا وافريقيا وأوربا — وهى تمتد من بحار الصين شرقا الى المحيط الاطلسى غربا ، ومن حدود السوفيات وأوربا الجنوبية شمالا الى المحيط الهندى ووسط افريقيا جنوبا . فلو لم يكن بين المسلمين الا هذا الاندماج الإقليمى وهذا الاتصال الجغرافى بين اقطارهم — وما يترتب عليه من تشابك السلالات واختلاط الاجناس والعناصر ، وترايط المصالح المادية والثقافية والروحية — لكان ذلك وحده ، فى نظر كل مفكر منصف مجرد عن الهوى — كافيا لى تكون الشعوب الاسلامية مجموعة اقليمية عالمية تشغل « المنطقة الوسطى » للعالم القديم ، التى تشمل ما يسمى عادة « بالشرق الاوسط » و« الشرق الأدنى » و« الشمال الافريقى » .

والعوامل الجغرافية والإقليمية التى أوجدت الجامعة العربية يوجد مثلها وأكثر منها بين دول المجموعة الاسلامية ، ولكن على نطاق أوسع وأضخم . وقد كان طبيعيا أن يكون التجمع العربى سابقا على أى تجمع اسلامى ، ولكن من الطبيعى أيضا أن يكون التجمع العربى نواة لهذا التكتل الكبير ، وخطوة فى سبيله . وقد كان التجمع العربى خطوة فى سبيل تكون المجموعة العربية الاسيوية ، ثم الكتلة الافريقية الاسيوية ،

ثم منظمة الوحدة الافريقية ، فمن الواجب كذلك أن يكون خطوة في سبيل تكوين مجموعة للشعوب الاسلامية .

وكما أن وجود الجامعة العربية لم يكن مانعا من اشتراك بعض الدول العربية أو كلها في تجمعات أوسع كمنظمة الوحدة الافريقية ، أو مجموعة الدول ، غير المنحازة مثلا ، فضلا عن الكتلة الاسيوية الافريقية . فكذلك لا يمكن أن يكون جائلا دون اشتراكهم أو اشتراك بعضهم في تجمع اسلامي في اطار اقليمي أوسع نطاقا من الجامعة العربية ، وأضيق نطاقا من الكتلة الاسيوية الافريقية أو كتلة عدم الانحياز .

العامل التاريخي

يوجد في عالم اليوم كتلة دولية محترمة تسمى « مجموعة الشعوب البريطانية » تشترك فيها الهند وباكستان وغيرهما من دول آسيا وافريقيا وأوربا وأمريكا التي لا يربط بينها واقع جغرافي ولا اقليمي ولا ديني ولا عنصرى . وكل ما يربط بينها هي علاقة تاريخية باعتبارها كانت جزءا من الامبراطورية الاستعمارية البريطانية . فالباكستان ، وهي دولة اسلامية اسيوية ، ترتبط في هذه المجموعة بغانا الافريقية ، وشمال ايرلندا في أوربا وكندا في أمريكا — ولم يقل أحد أن الرابطة التي تربط شعب الباكستان بتلك الشعوب — نتيجة لتبعتها السابقة للامبراطورية البريطانية — أقوى من الرابطة التي تربطها مع الشعوب الاسلامية الاخرى في ايران ومصر والمغرب مثلا والتي هي ثمرة تاريخ مجيد من الحضارة الاسلامية والوحدة الاسلامية منذ عهد الامويين الى عهد العثمانيين .

ان الشعوب التي كانت تجمع بينها في الماضي سلطة سياسة واحدة ، قد تتجه الى التجمع مرة ثانية بمحض اختيارها ، وعلة ذلك أن الظروف التاريخية التي عاشتها تلك الشعوب في ظل تلك السيادة المشتركة تركت فيها طابعا مشتركا . . سواء من حيث الجنس أو الدين أو اللغة أو الثقافة أو الحالة الاجتماعية أو المصالح الاقتصادية — وهذا الطابع المشترك هو الذى يدفعها الى التجمع والتكتل . فاذا راعينا القرون الطويلة التي عاشتها البلاد الاسلامية في ظل وحدتها السياسية ، وقارناها بعمر الامبراطورية البريطانية أو الفرنسية ، اقتنعنا بان الطابع المشترك الذى تركته الوحدة الاسلامية في الشعوب الاسلامية لا يمكن أن يكون أقل مما خلفته تلك الامبراطوريات الاستعمارية الاجنبية ، وأنه اذا وجدت مجموعة للشعوب البريطانية ، ومجموعة للدول الافريقية المجاشية التي كانت ضمن الامبراطورية الاستعمارية الفرنسية ، فمن باب أولى يجب أن توجد مجموعة تضم الشعوب الاسلامية التي عاشت أربعة عشر قرنا في ظل وحدة اسلامية . ولا ينبغي أن نغفل في باب المقارنة أن رابطة

« الشعوب البريطانية » أو « المجموعة الفرنسية » إنما هي وليدة إمبراطوريات استعمارية أجنبية فرضت سيطرتها على الشعوب التي تدخل اليوم في تلك المجموعات ، رغم أنها نارت ضد تلك الإمبراطوريات الاستعمارية البريطانية أو الفرنسية واستقلت عنها — في حين أن التضامن الإسلامي وليد حضارة إسلامية وإمبراطورية إسلامية ، لا إمبراطورية أجنبية استعمارية ، وأن الشعوب الإسلامية لم تنفصل عنها برغبتها وإنما فرض عليها هذا الانفصال فرضا بواسطة غزو أوربي واحتلال استعماري أجنبي مزق وحدة العالم الإسلامي وفصل أقطاره بعضها عن بعض .

ويلاحظ كذلك أن مجموعة الشعوب البريطانية أو مجموعة الشعوب الناطقة بالفرنسية لا تجمع بينها رابطة جغرافية أو اقليمية تدعم العلاقات التاريخية ، بعكس مجموعة الشعوب الإسلامية فإنها هي المجموعة الوحيدة من شعوب العالم التي تتوفر لها الوحدة الجغرافية والإقليمية إلى جانب الوحدة التاريخية ، فضلا عن العناصر الأخرى من عناصر التكتل مثل وحدة المصالح السياسية والاقتصادية كما سنرى .

العوامل السياسية :

كل تجمع دولي ، مهما يكن الطابع الذي يتميز به ، يفترض حدا أدنى من المبادئ المشتركة تجمع بين الدول الداخلة فيه . حتى الأمم المتحدة التي يفترض فيها أنها منظمة عالمية ، لا يقبل في عضويتها إلا الدول التي تلتزم بمبادئها التي نص عليها ميثاقها — وهذه هي حجة الأمريكيين في اعتراضهم على دخول الصين الشعبية رغم أنها أكبر دولة في العالم من حيث سكانها .

والذي يحدد المبادئ التي يقوم عليها التكتل الدولي هي أهدافه وأغراضه التي تتفق عليها الدول المؤسسة ، والتي ينص عليها في ميثاق المجموعة أو المنظمة أن وجد لها ميثاق مكتوب . وهذا هو العنصر المذهبي في كل تكتل دولي . وقد قاسى العالم من حدة الصراع المذهبي بين الكتلتين الشرقية والغربية المتصارعتين على السيطرة العالمية ، وانتهى الأمر باتفاق عالمي على أن يكون لكل شعب — وكل مجموعة من الشعوب — حريته الكاملة في اختيار مذهبه ، وحقه الكامل في الدفاع عن عقيدته ونظمه وعلى أن تمتنع الدول الأخرى من التدخل في شؤون أي شعب أو مجموعة من الشعوب — لفرض مذهب آخر عليه ، وهذا هو ما يسمى في العرف الدولي بمبدأ « التعايش السلمي » .

فكل دولة أو مجموعة من الدول لها الحرية الكاملة في اختيار عقائدها ومذاهبها وفي الدفاع عنها ، بشرط واحد ، هو ألا يكون لهذه العقائد أو المذاهب طابع عدواني ، أي ألا تكون وسيلة لفرض سيطرة عالمية

بالقوة . وتهمة العمل لفرض السيطرة العالمية توجهها الكتلة الغربية الى الكتلة الشيوعية بحجة أن مذهبها يقوم على الثورة العمالية العالية ، أى القضاء على الطبقة الرأسمالية والبورجوازية فى جميع أنحاء العالم ومقابل ذلك يتهم الشيوعيون كتلة الدول الغربية بأن لها نيات عدوانية بدليل وجود هذه المجموعة من الاحلاف العسكرية والقواعد الحربية التى تحيط بالكتلة الشيوعية احاطة السوار بالمعصم . أما المسلمون فان أحدا لا يمكن أن يفكر فى أن يتهمهم بانهم يتجمعون لفرض سيطرتهم على العالم . فهم لا يفكرون الا فى أن يتمتعوا فى بلادهم بحرية العقيدة والرأى والأ تفرض عليهم احدى الكتل الدولية الكبرى مذهباً أجنبياً عنهم . بل أن احدى الدول الكبرى — أو الكتل الدولية الطامعة فى السيطرة — اذا اعترضت على تكتلهم لحماية عقائدهم فانها بذلك تكشف عن نياتها العدوانية وتعترف مقدماً بانها تريد فرض مذهبها وعقيدتها عليهم ، تطبيقاً للمبدأ القائل « يوشك المريب أن يقول خذونى » .

هذا الاتجاه الى فرض سيطرة عقائدية خارجية على المسلمين لايمكن أن يقبله المسلمون ، لانه لا يقل فى نظرهم عن الاتجاه الى فرض سيطرة سياسية أو عسكرية . ويقدر ما يعارضون كل سيطرة أجنبية من أى نوع فانهم يعارضون السيطرة الأجنبية العقائدية أو المذهبية ، لانهم يعتبرونها دائماً خطوة فى سبيل السيطرة السياسية والعسكرية الأجنبية كما أثبتت تجارب التاريخ ذلك ، وخصوصاً التاريخ الحديث جداً .

ولو لم يكن للتضامن الاسلامى من ميزة الا أنه يسد على المسلمين باباً يأتى منه النفوذ العقائدى الأجنبى ، وما يتبعه من سيطرة عقائدية تتبعها سيطرة سياسية ، لكان هذا وحده كافياً لتبرير وجوده وتدعيمه واصرار المسلمين عليه والتفافهم حوله .

العوامل الاقتصادية :

ان التطور الفنى والصناعى الحديث يفرض على العالم ان يطور علاقاته الاقتصادية على اساس ضخامة الانتاج ، التى تستلزم امكانيات اقتصادية وجغرافية ومالية تتجاوز حدود القوميات الضيقة التى ورثها العالم عن القرن التاسع عشر . فهناك صراع بين مقتضيات التعاون الاقتصادى فى العالم الحديث ومقتضيات السيادة القومية الجامدة التى ورثناها عن الأجيال السابقة . والذى سوف ينتصر فى هذا الصراع بلا شك هو ضرورات التعاون الاقتصادى . وعلى المسلمين كغيرهم من شعوب الأرض أن يعدوا نظمهم ومجتمعهم للتطور فى هذا الاتجاه الحتمى ولا سبيل لذلك الا بالكتلات الاقتصادية الضخمة التى تتجاوز حدود القوميات الوطنية الضيقة .

فضلا عن هذا العامل العالى فان شغوب العالم الاسلامى تعيش فى مساحات شاسعة متباينة الاجواء متنوعة الثروات ، فمن الطبيعى أن تكون تنمية المبادلات بينها مفيدة لكافة شعوبها . ثم انها تملك ثروات طبيعية ضخمة لا يمكن لشعب واحد أن يسيطر عليها او أن يستغلها بمفرده ، فلا بد من تنسيق جهود مجموعة الشعوب الاسلامية فى هذا الاستغلال ، حتى يمكن استثمارها فى مجال التصنيع وتنمية الثروات القومية وتشغيل الايدى العاملة فى المناطق المزدهمة بالسكان . ان بعض مناطق العالم الاسلامى يتميز بقلّة السكان وبعضها على العكس من ذلك يئن تحت ضغط الزيادة السنوية المتصاعدة فى تعداد السكان . ولا يمكن أن تستقر حالة الاولى أو الاخرة الا بتخطيط مشترك لتنسيق جهودها فى تشغيل السكان واسكانهم وتكوين الاطارات وتوزيعها . لذلك كان موقف جمهورية الباكستان حكيما وايجابيا عندما ابرزت اهمية الناحية الاقتصادية فى بناء التضامن الاسلامى وفى تنمية التعاون بين شعوبه على أساس التكامل الاقتصادى وتبادل الخبرات الفنية والمعونات المالية والاقتصادية والمنتجات الصناعية والزراعية والمواد الأولية . وكان أولى بمثل هذا الموقف الايجابى العملى ، زعماء بعض الدول التى تعاني شعوبها مصاعب اقتصادية خطيرة لا تغنى فى مواجهتها المبادلات العقائدية ولا المستوردات المذهبية التى لاتملأ البطون ولا تشبع الجائعين .

كان من واجب قادة المسلمين جميعا أن يبادروا الى اتخاذ فكرة التضامن الاسلامى اطارا لتعاون اقتصادى عملى جدى بين الشعوب الاسلامية جميعها فى اقطارها الفسيحة المترامية الاطراف . وما زال هذا الباب مفتوحا ، فان موضوع التضامن الاسلامى لا يجوز أن يفصل فيه بخطب مرتجلة ، وتصريحات صحفية ، ومهارات سياسية ، لانه أكثر جدية من ذلك . وقد آن للمسلمين أن يأخذوا أمورهم بعين الجدى ، وأن ينظروا لمشاكلهم بعين الواقع المادى والاقتصادى والعملى ، وأن يتجردوا فى بعض الأحيان على الاقل — من الاعتبارات الحزبية أو الطائفية أو الإقليمية وأن يتركوا الكلمة للخبراء والفنيين فى كل ما له علاقة بالتعاون الاقتصادى والفنى والمالى . وتدعيم التضامن الاسلامى فى النواحي الاقتصادية لا يمكن أن يقوم عليه أى اعتراض معقول ولا أن تحول دون حرج نظرية جوفاء ، بل انه يمكن أن يشغل مئات الخبراء وعشرات اللجان فى جميع انحاء العالم الاسلامى شهورا وأعواما لدراسة امكانياته وتخطيط توجيهه وبناء مؤسسات شعبية وحكومية ودولية على أساسه . وهذا هو بالضبط ما يطلبه الداعون الى التضامن الاسلامى فما هو مضمون الدعوة ؟ .

الفصل الرابع

مضمون الدعوة للنظام الإسلامي

تجمع حضارى بناء لا تكتل سياسى •

إذا تأكد أن التضامن بين المسلمين حقيقة واقعية ملموسة يقر بها الجميع ، وأن عناصر التضامن وعوامل التجمع بين الشعوب الإسلامية متوفرة متعددة متينة سواء من الناحية الإقليمية الجغرافية أو من النواحي التاريخية والاقتصادية والسياسية ، فإن هذا يوجب علينا الإقرار بأن **((التضامن بين المسلمين اسمى من أى رابطة سياسية وأقوى من أى تكتل سياسى))** •

غير أن بعض معارضى حركة التجمع الإسلامى يستندون الى هذه الحقيقة للقول بأن لا ضرورة لهذه الدعوة ولا فائدة منها ، لأنها تحصيل حاصل . ومصدر هذا الزعم هو سوء فهم مضمون الدعوة وأهدافها . ان كثيرا ممن يعارضون دعوة التجمع الإسلامى بحسن نية يظنون أن الغرض منها إيجاد تكتل سياسى جديد مماثل للتكتلات السياسية القائمة حاليا فى آسيا وأفريقيا والتي تشترك فيها الدول الإسلامية كل بحسب ظروفها واتجاهاتها ومصالحها . ومعنى ذلك فى نظرهم أن اقل مايوصف به التكتل الجديد انه مجرد تكرار للتكتلات الحالية لا يضيف شيئا لواقع العالم الاسيوى الافريقى سوى البلبلة والتعقيد والغموض .

ولكن هذا النظر الخاطىء يكفى لدحضه أن نوازن بين حقيقة التكتلات القائمة حاليا ، وبين التجمع الإسلامى . فان تلك التكتلات سياسية بحتة فى طبيعتها واسسها وفى اهدافها ومضمونها . أما التجمع الإسلامى فهو يتجاوز الاطار السياسى فى اهدافه ومضمونه وأسسها وطبيعته ، وينقلنا الى مرحلة التجمع الإنشائى والتعاون البناء فى جميع مظاهر حضارتنا المشتركة : حضارة الإسلام التى صهرت شعوبنا وجمعت بينها قرونا طويلة فتركت فيها طابعها المشترك فى نواحي الفكر والعقيدة والاجتماع والاقتصاد والسياسة . وهو بذلك خطوة تقدمية فى حركة الوحدة العالمية تهدف الى تعميق حركات التكتل . وتقويتها وتدعيمها لتدفع الشعوب فى طريق الاندماج .

مرحلة جديدة فى التعاون العالمى :

إذا استثنينا جامعة الدول العربية وجدنا ان التكتلات السياسية فى آسيا وأفريقيا والتي تساهم فيها الدول الإسلامية حاليا - لم تتجاوز بعد مرحلة التكتل السياسى البحت الذى تعتبره الدول المشتركة فيه أداة لحماية استقلالها وتدعيمه ، لا لتقييده ولا للحد منه . ذلك أن أغلب الدول المشتركة فى تلك التجمعات هى دول صغيرة ناشئة ، حصلت على

استقلالها بعد نضال مرير وكفاح طويل وتضحيات غالية ، فيصعب عليها ان تقبل التخلي عن بعض مظاهر استقلالها وسيادتها الوطنية التي حصلت عليها حديثا بفضل كفاحها الوطني .

هذا العامل السيكولوجي لدى الشعوب الناشئة هو الذي جعلها لا تبادر الى التجمع او التكتل الا تحت ضغط عوامل (سياسية) كالخوف من خطر يهدد استقلالها من جانب احد جيرانها او من جانب احدى الكتلتين العالميتين او هما معا — هذا هو الهدف السياسى للدول المشتركة في منظمة (الوحدة الافريقية) او مجموعة الدول الآسيوية الافريقية ، او دول عدم الانحياز .

ولكن شعوب العالم تشعر اليوم بالحاجة الى تجمعات اقوى من هذه التكتلات (السياسية) تفتح لها باب التعاون الإنشائي في النواحي الحضارية كلها سواء في ذلك الثقافة والاقتصاد والتجارة والصناعة والمواصلات ، استجابة لمقتضات التطور العلمى والواقعى للحضارة البشرية . ولا يمكن ان يتم ذلك الا بين شعوب تشعر بان رابطة التضامن التي تربط بينها اسمى من كل رابطة سياسية حالية واقوى من كل اعتبار سياسى وخاصة اعتبارات السيادة القومية ، والاستقلال الوطنى والحدود الإقليمية . وقد شهد الجميع بان رابطة التضامن الاسلامى ترشح الشعوب الاسلامية لهذا النوع من التجمع الإنشائي البناء . ونحن نرى دول أوربا القديمة العريقة في الاستقلال وفي المدنية تسير في طريق الاندماج الاقتصادى الذى يحد من سيادتها ويقيد من حرية كل دولة منها وهى تسير في ذلك راغبة مختارة ، لان ما بينها من شعور بالتضامن والتقارب في جميع مظاهر الحضارة والمدنية اقوى من كل اعتبارات السيادة الوطنية والمنازعات السياسية . أما دول افريقيا وآسيا الناشئة التي تعاني من التخلف الاقتصادى والحضارى ، فانها رغم ذلك لم تصل بعد الى مرحلة من التضامن والتقارب تدفعها الى التغاضى عن الاعتبارات السياسية والسير في طريق الاندماج الفعلى الشامل لكل النواحي الحضارية والمدنية الحديثة ، وانما تكتفى بالتكتلات السياسية لتحقيق اهداف سياسية مشتركة ، أو الدفاع عن مواقف سياسية معينة دون ان تفكر تفكيراً جدياً في ايجاد مؤسسات شعبية او حكومية مشتركة ولا في التخلي عن بعض سلطاتها لتلك المؤسسات ولو كانت مجرد مؤسسات ثقافية أو فكرية او اجتماعية أو اقتصادية .

أما الشعوب الاسلامية فانها شعرت بان ما بينها من عوامل التضامن والتقارب التاريخى والجغرافى والثقافى والاقتصادى يؤهلها الى أن تخطو الى الامام خطوة ايجابية جديدة التعاون بينها في جميع نواحي التضامن ، وعلى زعمائها وقادتها ان يأخذوا زمام المبادرة في هذه الخطوة الجديدة وفاء لما قامت به شعوبهم من قبل من مبادرات سابقة في ميدان التكتلات الدولية كي تكون خطوتهم قدوة صالحة للشعوب الناشئة الشقيقة في آسيا وافريقيا في تدعيم التعاون بينها وتقوية الاتجاه العالمى نحو التضامن والوحدة .

مضمون عملى واقعى غنى بالامكانيات :

ان الدول الناشئة التى تربطها تكتلات سياسية فى افريقيا وآسيا تحاول ان تخلق روح تضامن بين شعوبها تحت ضغط العوامل السياسية ، من اجل اهداف سياسية مشتركة . أما الشعوب الاسلامية ، فان التضامن بينها قائم وثابت وقديم لا يحتاج الى عوامل سياسية لتدعيمه ، وكل ما يجب على المسلمين هو تنظيمه واستثماره .

فدعوة التجمع الاسلامى تهدف اذن الى غايتين .

الاولى — تنظيم المؤسسات الشعبية والحكومية التى توثق تعاون المسلمين وتدعمه وتوحد خططها وجهودها وتوجهها نحو الاهداف المشتركة .

الثانية — استثمار القوة المستمدة من تضامن المسلمين وتعاونهم من اجل مصالحهم المشتركة فى ميادين الاقتصاد والاجتماع والفكر والثقافة والسياسة ومن اجل التقدم البشرى والسلم العالى .

والحقيقة ان جميع الدول الاسلامية والشعوب الاسلامية تعمل جهدها لتدعيم التضامن الاسلامى وتقوم بخطوات عملية فى هذا السبيل ، بما فى ذلك بعض الحكومات التى عارضت دعوة التجمع الاسلامى واستندت فى معارضتها الى انها اكثر من غيرها حرصا على التضامن الاسلامى وضمنت دعاياتها ونشراتها بيانات عما قامت به لخدمة الاسلام والمسلمين — ولكن المسلمين اصبحوا اليوم يشعرون بان تدعيم التضامن الاسلامى لا تكفى فيه الجهود الفردية التى تقوم بها كل دولة على حدة ، بل لابد لذلك من **جهود مشتركة** ، ولابد من **عمل جماعى** ، تساهم فيه جميع الدول الاسلامية ، وجميع الشعوب الاسلامية . وهذا اتجاه طبيعى منطقى لا يستطيع عاقل ان يعارضه لانه لا يمكن ان يقال للمسلمين ان تعاون البشر كلهم ممكن واجب ولكن تعاونهم فيما بينهم محرم او ضار . والغريب انهم يبذلون جهدهم فى معارضة الدعوة لعقد مؤتمر على مستوى القمة بين الدول الاسلامية دون ان يقدموا اى اقتراح لفتح طريق آخر للتعاون الاسلامى مع ان من المؤكد ان الدعوة لعقد مؤتمر القمة لم تكن فى نظر اصحابها الوسيلة الوحيدة لتدعيم التضامن الاسلامى ولا هى الوسيلة الاولى ولا الاخيرة ، بل هى نموذج من اللقاءات الاسلامية الضرورية للقيام بعمل مشترك على جميع المستويات وفى جميع الاتجاهات .. فدعوة التضامن لا يمكن بحال من الاحوال ان تنحصر فى مؤتمرات القمة ، بل هى دعوة خصبة مليئة بالامكانيات العمل المشترك لتنسيق خطط الدول الاسلامية فى النواحي الثقافية والاجتماعية والفكرية والاقتصادية .

التنسيق الثقافي والاجتماعى :

لقد خضعت الشعوب الاسلامية فى اغلب اقطارها للاستعمار الاجنبى فترة طويلة ،وقد ترك هذا الاستعمار آثاراً واضحة فى احوالها الاجتماعية والثقافية ولا بد لازالة هذه الآثار من عمل مشترك وخطة منسقة بين الدول الاسلامية جميعها . فلا شك ان العصور الاسلامية الزاهرة قد اثمرت نوعا من الثقافة المشتركة والوحدة الثقافية بين شعوب العالم الاسلامى ، ولكن التدهور والسيطرة الاجنبية عملا على مسح الشخصية الثقافية للمسلمين وفرضت بعض الاقطار ثقافة اجنبية او لغة اجنبية تربطها بالمستعمرين وتفصلها فى الوقت نفسه عن اشقائها . والهدف الثقافى للتجمع الاسلامى هو محو تلك الفوارق الثقافية الناتجة عن السيطرة الاستعمارية الاجنبية ، وبعث الثقافة الاسلامية المشتركة ، التى توحد الاتجاه الثقافى فى شعوبنا ، وتسهل التعاون الثقافى بينها ، وخاصة اذا اعطيت عناية خاصة للغة العربية باعتبارها لغة القرآن ولغة الاسلام الاولى واداة صالحة لنهضتنا الثقافية والحضارية .

أما فى الناحية الاجتماعية فقد قطعت كثير من البلاد الاسلامية شوطا كبيرا فى طريق التطور الاجتماعى كل بحسب الاسلوب الذى يلائم ظروفها واهوالها الخاصة . وقد يصعب فى الوقت الحاضر توىحى طريق واحد للتطور الاجتماعى فى جميع الدول الاسلامية ، ولكن التنسيق بين تلك الدول سوف يعطى لكل منها الفرصة الكاملة لاتمام تطورها بالطريقة التى تلائم ظروفها دون ان تفرض عليها اساليب من الخارج ، وسوف يعطى لها الفرصة ايضا للاستفادة من تجارب الشعوب الشقيقة وخبراتها . ولقد كانت تصريحات الملك فيصل واضحة وقاطعة فى ان الاسلام يجمع بين المسلمين ولا يفرق بينهم ، وان دعوته موجهة لجميع قادة الشعوب الاسلامية مهما تكن مذاهبهم الاجتماعية او اتجاهاتهم السياسية ، طالما ان لقائهم جميعا سيكون تحت شعار الاسلام وفى ظل العقيدة الاسلامية .

فليس معنى التضامن الاسلامى فى نطاق النظم الاجتماعية والثقافية ان تلتزم جميع الشعوب الاسلامية بالسير فى هذا الطريق بخطوات اضعفها او اكثرها تخلفا فى هذه الناحية ، لأن من حق كل شعب منها ان يتابع سيره فى طريق التطور الثقافى والاجتماعى والعلمى والفنى الذى بداه والذى يلائم حالته وظروفه ، بشرط ان تبقى بين جميع الشعوب الاسلامية رابطة العقيدة المشتركة لى يتسنى بذلك للمتحلف ان يحذو حذو اشقائه ويسير على نهجهم ويستفيد من تجاربهم دون تخوف ان تشكك مطمئنا الى ان الطريق الذى يسلكونه جميعا هو طريق اسلامى للنهوض والتطور فى جميع نواحي الحياة الحديثة وبذلك يكون طريقا ذاتيا معتمدا على العقائد المشتركة والثقافة المشتركة والتاريخ المشترك الذى يجمع بينها فى صبغة اسلامية صافية « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة » .

التنسيق الفكرى والعقائدى :

ان تدعيم التضامن بين الشعوب الاسلامية يستلزم اقتناعها بانها تسير فى تطورها وتقدمها على اساس العقيدة المشتركة ، التى ربطت بينها بروابط الاخوة والتضامن وهى العقيدة الاسلامية . وميزة هذه العقيدة المشتركة عن غيرها فى نظر المسلمين أنها هى عقيدتهم الذاتية ، وانها عنوان شخصيتهم وتاريخهم وحضارتهم ، فكل تطور على أساسها تطور ذاتى وكل نهوض على أساسها هو نهضة استقلالية لا يشوبها شائبة التبعية للخارج .

فكل محاولة لصرف شعب من الشعوب الاسلامية عن هذا الطريق الاسلامى محاولة فاشلة لانها محاولة لصرفه عن شخصيته وهدم كيانه وهو ما لا يمكن ان يقبله شعب حر ، ولا ان يستسلم له شعب اسلامى . ومهما تحايل أصحاب العقائد المستوردة على تزيين تلك الافكار والعقائد ، فان شعوبنا ترفضها ولن يجدى ما ينسجونه حولها من أساطير وما ينسبون له من فضائل ، فالشعوب القوية لا تقبل سبيلا للنهوض او التطور الا اذا كان نابعا من ذاتيتها ، قائما على أساس مقومات شخصيتها .

وميزة اخرى لهذه العقيدة الاسلامية المشتركة انها تزيل الحواجز التى يقيمها المفرقون والمخربون بين الشعوب الشقيقة ليربطوا بلادهم باحدى الكتل المذهبية صاحبة النفوذ العالمى . ولا يبالون ان يعرضوا شعوبهم بذلك للانفصال والانزلال عن شقيقاتها ، وخلق تصدع بين مجموعة الاسلامية لا يستفيد منه الا المتربصون بها خارج حدودها . ولكن رابطة العقيدة المشتركة بين شعوبنا كفيلة باحباط تلك المحالوت الانعزالية وحماية شعوبنا من أخطارها .

ويؤدى هذا التنسيق الفكرى ايضا الى محو الخلافات المذهبية بين الفرق الاسلامية المتعددة التى كانت ثمرة المنازعات السياسية بين تلك الفرق طوال عصور التاريخ الاسلامى ، والتى تخلق للدول الاسلامية مشاكل طائفية واقليمية تنقل كاهلها وتضعف فاعليتها فى المجال الدولى ، وتزعزع عقيدة المسلمين فى انهم امة واحدة ، ذات عقيدة مشتركة واحدة يشعر فى ظلها السننى والشيعى والوهابى والزيدى بوحدة الفكرة الاسلامية ووحدة العقيدة المشتركة ويقتنع اصحاب المذاهب جميعها بانه ليس من حق مسلم ، فردا كان او جماعة ان يضخى بوحدة الامة الاسلامية من أجل التعصب الطائفى والمذهبى وان المسلمين امة واحدة واول واجباتهم التغلب على الانقسامات المذهبية والفكرية قديمها وحديثها وازالة الخلافات والتناقضات الناتجة عنها .

ليس هنا مجال البحث عن اى الدول الاسلامية اكثر من غيرها تحررا من الارتباط او التبعية لاحدى الكتل الدولية التى تتنازع السيطرة العالمية لان مظاهر التبعية والارتباط الدولى اصبحت متعددة الصور والاشكال . ومن الصعب ان نميز فيها بين معاهدات الحماية ، وصكوك التبعية ، وبين التصريحات المشتركة والتصريحات من جانب واحد ، والانذارات ، واتفاقات التعاون المشترك ، وما الى ذلك . ولكن المؤكد الذى لا مجال للشك فيه ان الشعوب الاسلامية كلها مجمعة على التخلص من مظاهر الارتباطات والتبعيات الاجنبية مهما تكن صورها . وان كل شعب منها متى وجد سلامته وامنه فى التضامن الجماعى مع اشقائه وجيرانه فانه لا يقبل بقاء اى ارتباط خارجى مهما يكن شكله او صورته .

ويمكن ان نذكر ان انشاء الجامعة العربية تم فى وقت كانت فيه غالبية الدول العربية تزرع تحت قيود الارتباطات الاجنبية . ولم تكن هذه القيود مانعة من انشاء الجامعة بل على العكس من ذلك فان وجود الجامعة ساعد الدول العربية على التحرر من تلك القيود . ووجود تجمع اسلامى على اساس سليم يمكن ان يكون له من الاثر فى نطاق الدول الاسلامية مثل ما للجامعة العربية من اثر فى النطاق العربى . فالتجمع الاسلامى كالجامعة العربية كلاهما اداة لتنسيق جهود الشعوب العربية والاسلامية لاستكمال تحررها وتنمية تضامنها فى الميدان السياسى كما فى الميادين الثقافية والاجتماعية والاقتصادية .

وكما ان وجود الجامعة العربية كان له الفضل الاول فى تدعيم اتجاه الدول العربية نحو عدم الانحياز فى مجال السياسة الدولية ، فان التجمع الاسلامى لابد ان يؤدى لنفس الغاية على صعيد العالم الاسلامى ، لانه يقوى اتجاه الدول الاسلامية الى مقاومة كل ارتباط خارجى سواء على الصعيد العسكرى او السياسى او على الصعيد الفكرى او العقائدى . والمسلمون لا يميزون بين صور الارتباطات الاجنبية وانواعها والوانها . فالارتباط العقائدى ليس اقل خطرا على استقلالهم وكيانهم من الارتباطات الاخرى ومقاومتهم له لا تقل عن مقاومتهم لاي نوع آخر من الارتباطات الخارجية .

لقد اثبتت تجاربنا التاريخية ان للاسلام طاقة عجيبة فى اذابة الفوارق العنصرية والطائفية والطبقية واقامة مجتمع منسجم على اساس الاخوة الانسانية . وتدعيم التضامن الاسلامى هو خير وسيلة تريخ كثيرا من الدول الاسلامية من المشاكل الداخلية الناتجة عن المنازعات العنصرية او الطائفية او الطبقة التى تثقل كاهلها .

وهذا القول يصدق على الاتجاهات القومية المتطرفة التي خلقت بين بعض الدول الإسلامية الشتيقة منازعات اقليمية تهدد استقرارها وتهدد السلم العالمى ، مثل مشاكل الحدود بين الجزائر والمغرب وتونس ، او بين العراق وايران مثلا . والتجمع الاسلامى الذى يوسع افق التضامن وراء حدود الاقليم وحدود الوطنية الضيقة ، كفيل بحل هذه المشاكل وكبح جماح التطرف القومى والتعصب الاقليمى .

ثم ان هناك قضايا سياسية ووطنية ما زال الجهد الفردى للشعوب صاحبة الحق فيها عاجزا على حلها ، مثل قضايا فلسطين وكشمير وقبرص ، وغيرها . وبقاء هذه القضايا معلقة لا يقتصر اثره على شعوب تلك الاقطار ، وانما يهدد سلامة الشعوب المجاورة والشعوب الشتيقة وينتج عن هذا التهديد الدائم صرف امكانياتها نحو الاغراض الدفاعية والعسكرية مما يترتب عليه عبء كبير على ميزانياتها من النفقات غير المنتجة ويشغلها حتما عن العمل الجدى فى مجال النهضة الاقتصادية والثقافية والعلمية والحضارية من جميع الوجوه .

والتضامن الاسلامى يحول تلك القضايا الى قضايا اسلامية عامة يتحمل عبئها جميع الدول الاسلامية فى اطار التضامن والتعاون ووحدة الاهداف ووحدة الخطة والعمل وهذا وحده يكفى لاجراج تلك القضايا من الجمود الذى وصلت اليه ، ويزيد من امكانيات الوصول الى حلول سلمية لها بتاثير الوزن الدولى للمجموعة الاسلامية الضخمة المتضامنة التى لا يمكن ان يقارن به الوزن السياسى لاي دولة منها منفردة ، ولا اى مجموعة اضيق واصغر ، — كالجامعة العربية مثلا ، التى عجزت الى اليوم عن اسماع صوت الحق فى المجال الدولى بالنسبة لقضية فلسطين .

التنسيق الاقتصادى :

اذا ازيح عن كاهل كل دولة من الدول الاسلامية تلك الابعاء الناجمة عن المشاكل الداخلية والاقليمية والسياسية وبقيت على عائق المجموعة الاسلامية الكبرى وامكن انطلاق تلك المجموعة فى طريق التعاون الجدى العملى فى ميدان الصناعة والانتاج والتنمية والتطور الاقتصادى والاجتماعى والثقافى . فانها بذلك تكون قد ادت أكبر خدمة لشعوبها خاصة وللعالم كله بصفة عامة ، وضربت احسن مثل للشعوب النامية لكى توجه جهودها للتنمية الاقتصادية والتعاون فى مجالات البناء والانشاء بدلا من الجمود امام المشاكل ذات الطابع السياسى او العنصرى والقومى .

ان فكرة التجمع الاسلامى تفتح اكبر مجال للتعاون بين المسلمين على الصعيد الاقتصادى والانتاجى وان من مظاهر العجز والفشل وعدم الجدية اهمال العناصر الاقتصادية والعملية فى دراسة الموضوعات والبحث

فيها • ومن المؤلم ان نجد اناسا يتولون مراكز القيادة والتوجيه يصدرون التصريحات الصحافية او يلقون الخطب المطولة في معارضة التضامن الاسلامى ولكن كل حججهم هى اعتبارات سياسية قائمة على افتراضات لا دليل عليها لان . ولم نسمع من هؤلاء المعارضين على التضامن الاسلامى كلمة واحدة عن الناحية الاقتصادية او التجارية او المالية او العلمية فى التضامن الاسلامى .

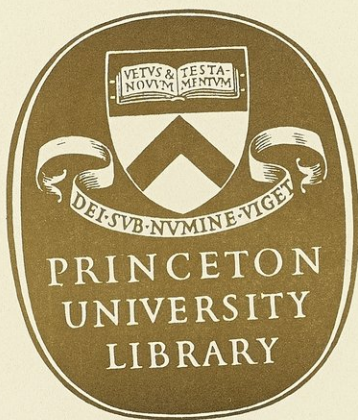
وما زال المجال مفتوحا امامهم وامام غيرهم • فعليهم ان كانوا جادين ان ياتوا بدليل على ان التعاون الاقتصادى بين الدول الافريقية مشروع وبين الدول الاسيوية مشروع اما بين الدول الاسلامية فهو محرم او ضار وطبعا لن يجدوا هذا الدليل ولذلك فهم لا يجرؤن على ان يطرقوا ناحية التنسيق الاقتصادى والتجارى وما يتعلق بذلك من مواصلات ومعاملات ومبادلات وتكامل اقتصادى بين الدول الاسلامية ذلك لانهم يعرفون ان المجال للتعاون الاسلامى خصب مفيد لجميع الشعوب الاسلامية •

خاتمة

ان التجمع الاسلامى — كما راينا — خطوة تقدمية يفرضها منطق التاريخ ، ومنطق الواقع الاسلامى ، والواقع العالمى . ثم انها خطوة ايجابية من حيث آثارها بالنسبة للمسلمين وبالنسبة للعالم اجمع . ذلك ان حل المشاكل الداخلية والاقليمية والسياسية التى تشغل الدول الاسلامية يوجه جهودها نحو المشكلة الكبرى فى عالم اليوم ، وهى مشكلة التنمية الاقتصادية ورفع مستوى المعيشة وتطوير النظم الاجتماعية تطويرا سلميا ، وتوجيه التعاون الدولى نحو النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التى تفتح باب التقارب والاندماج بين الشعوب .

ثم ان حل القضايا الاسلامية الكبرى عن طريق التجمع الاسلامى هو فى ذاته خدمة كبرى للسلم العالمى ، لان تلك المشاكل ليست عبئا على كاهل الشعوب الاسلامية وحدها بل انها عبء على كاهل السلم العالمى ، وتهدد دائما العلاقات السلمية بين الشعوب . وقد راينا كيف تطورت مشكلة كشمير الى حرب سالت فيها دماء الالاف من المسلمين وغير المسلمين . وكذلك الحال فى فلسطين وفى قبرص والصومال وغيرها .

ولا شك أن العالم الاسلامى يشغل المنطقة الوسطى للعالم ، حيث تلتقى تيارات السياسة الدولية ، وتصطدم مصالح الكتل الكبرى التى تتنازع السيطرة العالمية وخير مساهمة يقدمها المسلمون لسلم العالم هى ابعاده عن مخاطر الصدام بين هذه الكتل المتصارعة وذلك بملء الفراغ العقائدى الذى يوجه الينا مطامح الكتلة الشرقية ، وملء الفراغ الاقتصادى الذى يجذب الينا مطامح الكتلة الغربية . وملء هذا الفراغ المادى والمعنوى لا يكون الا على اساس تجمع شعوب المنطقة حول عقيدتها الذاتية ومن اجل مصالحها المادية والمعنوية ، واعتزازها بشخصيتها ، ودفاعها عن كيانها ، واستقرارها ، فى ظل التعاون والتضامن الذى تتجه اليه شعوب العالم اجمع والى هو الهدف الاسمى للشعوب المؤمنة بمبادئ الامم المتحدة واهدافها .



Princeton University Library



32101 059172005

AP